إشكالية المثقف والسلطة ـ قراءة في جهود الافغاني وعبده ـ

م. د. أحمد عبد السادة زوير
كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الاسلامية الجامعة

الملخص

يعالج هذا البحث اشكالية مهمة في الفكر العربي الاسلامي وهي دور النخبة في التصدي لتغيير الواقع في المجتمع الاسلامي الذي يعاني التراجع والانحطاط في قبال التطور الملحوظ للآخر الغربي اضافة الى هيمنة ثقافته على المشهد الاسلامي، وكان من الشخصيات التي تصدت لمراجعة السؤال الجوهري آنذاك "لماذا تقدموا هم وتراجعنا نحن" جمال الدين الافغاني ومحمد عبده كمصلحين في اطار التثقيف للخروج من هذه الاشكالية عبر كتاباتهم ودورهم في اعادة المجتمع الى سابق اوجه الحضاري والمعرفي في العصور الوسطى قبل سقوط بغداد على يد المغول.

ABSTRACT

This research addresses an important problematic issue in Islamic Arabic thought that is the role of elite in thwarting to change the reality of Islamic society which suffers from retraction and recession in front of the western remarkable development besides the domination of its education on the Islamic scene. Among the characters who response to review the vital question at that time 'Why do westerns advanced whereas Arabs return back?' were Jamal Al-deen Al-Afgany and Mohamad Abda who work as renovators in the frame of intellectuality to go over this problematic issue through their writings and roles in returning the society to its previous civilized and knowledgeable face in the middle ages before the downfall of Baghdad by Al-Magool.

المقدمة

أسهمت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عاشتها مصر منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر الى حد كبير في نمو النخبة المثقفة المصرية وتكوينها، وفي تحديد مساراتها الفكرية واتجاهاتها السياسية، ومن ثم كان الاثر الكبير في تكوين تاريخ مصر الحديث والمعاصر، الذي اسهم في بلورة جيل من المصلحين في الوطن العربي، كان همهم الاساس ايجاد مواطن الخلل في تراجع الفكر الاسلامي في قبال الآخر الغربي فكان "سؤال" النهضة لماذا تراجعنا وتقدموا هم، يضاف الى ذلك الاوضاع الخاصة بالاجتماع السياسي الذي يمثل التغلغل والتدخل في البلدان من قبل الحكام وتسلم المقدرات بيدهم، وهذا كلّه صنع فجوة بين السلطة والمثقف، مما انتج نزاع في ابعاد هؤلاء النخب من الاطار الاجتماعي كي يأمنوا من تحريضهم وتأجيج المجتمع ضد السلطة المهيمنة المتمثلة بشتى انواعها، لذا انتخبنا في البحث شخصيتين بارزتين تمثلان عصر النهضة الاسلامي في مواجهة التخلف والانحطاط على جميع الاصعدة وهما " جمال الدين الافغاني ومحمد عبده"

وفي ضوء ذلك، جاء البحث معرفا بالدور الذي لعبته النخبة المثقفة في الحياة الفكرية والسياسية ومواقفهم اتجاه الاحداث المهمة، ليس على صعيد مصر وانما يشتمل الاحداث التي وقعت في العالم العربي.

لذا قسم البحث الى اربع موضوعات بدأت بمناقشة مفهوم المثقف وجذوره ثم بحثنا مفهوم السلطة وانواعها، وتكلمنا على اثر الافغاني كمصلح واخيرا وصل البحث الى الحديث حول محمد عبده مثقفا ومصلحا ، ثم شفع البحث بخاتمة وافية لما سلف.

اولاً: إشكالية المصطلح

المثقف من اللفظ الى المفهوم

ثَقف، ثَقِف، وثُقُف، وثقيف صفات للرجل تعني حاذق وفهم ، ضابط لما يحويه، قائم به، ذو فطنة وذكاء ثابت المعرفة بما يحتاج اليه[١] وكذلك ثقاف، نقل ابن منظور حديثا عن ام حكيم بنت المطلب: اني حصان فما اكلم وثقاف فما اعلم. فهي صفة ايضا للتفوق في العالم المرشد في الحياة بما يغني عن استعلام الغير[٢]

امّا المثقف" كمصطلح وكمفهوم لفه الغموض والالتباس في الثقافة العربية وهو أمر لا أعتقد أنه يمكن نسبته لظروف نشأة المفهوم أو استعماله كما يحاول البعض إيهامنا؛ إذ أن تمويه المفهوم يساعد ضمن شروط أخرى في استدراج المثقف لعلاقة مع السلطة، يناقض فيها دوره الاجتماعي ويتم تجريده من صفة كونه مثقفاً. ومنذ البداية يعفينا الجابري من عناء كثير؛ حين يقرر أن مفهوم "المثقف" لا يرتبط في الثقافة العربية بمرجعية محددة لا من الجهة اللغوية ولا من جهة المعارف العلمية؛ فمن حيث اللفظ فهو لا يعدو أن يكون مجرد صيغة نحوية قياسية: اسم مفعول من فعّل، ثقّف، ولم ترد هذه الصيغة في النصوص العربية إلاّ نادراً، والنادر لا حكم له، وبالتالي فهو لا يشكل مرجعية، ومن جهة المعارف العلمية فليس هنالك ثمة شئ يمكن الإشارة إليه. وتاريخ استعمال أو على الأقل انتشار لفظ "مثقف" في الخطاب العربي قد لا يتجاوز نصف قرن من الزمان؛ وهو لفظ مولد، أي تمت صياغته من لفظ آخر في اللغة العربية ليستجيب للتعبير عن معنى ورد للثقافة العربية من خارجها ويستجيب لحالة ماثلة فيها؛ أحد أسبابها هو المواجهة مع ذلك الخارج نفسه. وبعبارة أخرى إن "المثقف" العربي المعاصر لا يجد نفسه يستند إلى أية مرجعية حينما يكون بصدد التفكير، مثلاً، في قضية من قضايا مجتمعه؛ ولا يجد نفسه مشدوداً إلى أي نموذج حين يفكر في وضعيته ودوره كمثقف.[٣]

ووفقاً لذلك يبدو واضحاً أن تحديد مفهوم "المثقف" في الثقافة العربية يتطلب أول ما يتطلب تحديده في الثقافة التي نشأ فيها، ثم النظر في الحاجة التي يلبيها في الثقافة العربية. مفهوم "المثقف" مفهوم حديث نشأ في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، أي أن عمره يتجاوز المائة عام بقليل ولذلك فإن التاريخ يمدنا بوقائع دقيقة عن نشأته. ففي عام ١٨٩٤ أدين في باريس ضابط فرنسي من أصل يهودي، اسمه الفريد دريفوس، بتهمة التجسس لصالح المانيا. واستطاعت عائلته بعد عامين إثبات زيف الوثائق التي أدانته فاتجهوا إلى الرأي العام الفرنسي واستطاعوا أن يجندوا شخصيات مرموقة من عالم الفكر والأدب كإميل زولا وأناتول فرانس ومرسيل بروست وغيرهم فأصدروا بياناً حمل توقيعاتهم في الصحيفة الفرنسية "الفجر L'Aurore" بعنوان "منفستو المثقفين" في ١٤ يونيو/حزيران ١٨٩٨ (التاريخ الوارد بكتاب الجابري ١٤ يناير / كانون الثاني ١٨٩٨). وانقسم الرأي العام الفرنسي بصدد هذه القضية إلى معسكرين :"التجمع الجمهوري" ويضم شخصيات اشتراكية ويسارية ويطالب بإعادة المحاكمة، و"الوطنيين" الذين عارضوا إعادة المحاكمة وهددوا بالقيام بانقلاب. وبعد صراع مرير أعيدت المحاكمة وتم تخفيف الحكم أولاً، ولاحقاً حصل الضابط على البراءة. هذه الحادثة بالغة الأثر في الحياة الفكرية والسياسية الفرنسية وتعتبر المرجعية التاريخية، السياسية والفكرية، لمقولة "المثقفين".[٤] وهي واقعة كافية بحد ذاتها لاستخلاص وتحديد مفهوم "المثقف" ووظيفته ودوره الاجتماعي.

ويعرف أركون المثقف بأنه: "من يتحلى بروح مستقلة، محبة للاستكشاف والتحري وذات نزعة نقدية واحتجاجية تشتغل باسم حقوق الروح والفكر "[٥].

فقد وردت صفة مثقف بمعنى العالم الديني، وكانت هذه الصفة تطلق بالأساس على طائفة الفقهاء الذي يشتغلون "بدراسة الحقل الثقافي وإدارة شؤونه"، وهو ما كان يطلق عليهم القراء، أي حملة العلم الإسلامي الأول. وقد لعبت هذه الفئة دورًا أساسيًا بارزًا في أحداث القرن الهجري الأول، ليصبح "العلم" مهنة متخصصة ومتشعبة في مختلف العلوم الإسلامية، مما جعل المهمة المنوطة بهم أساسًا هي "ضبط فوضى الرواية وتوحيد النص[٦]. غير أن مجال الممارسة الثقافية للمثقف العربي الإسلامي سيتسع ابتداء من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، بفعل التصدع الاجتماعي والإيديولوجي الذي شهده الحقل الثقافي الإسلامي. ومن ثم، احتدم الصراع بين ممثلي اتجاهين رئيسين: أصحاب المعارف الدينية النقلية أو "الأصيلة"، وأصحاب المعارف العقلية التي اعتبرت دخيلة، وإن كانت الغلبة في هذا الصراع تميل دومًا للفاعل التقليدي، الذي ظل يراقب ويتحكم في الحقل الثقافي برمته.

وابتداء من القرن الرابع الهجري سيتبلور مفهوم المثقف هذا بشكل خاص في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. وفي هذا الصدد، يورد أركون بعض النماذج الكبرى من هؤلاء المثقفين، الذين مارسوا مثل هذا الموقف الحر المستقل، كالجاحظ والتوحيدي اللذين يعتبرهما الأكثر جرأة وحداثة من بين هؤلاء المثقفين، هذا إضافة إلى أسماء أخرى مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد[٧].

ولا يأخذ أركون هنا بالمفهوم العام للمثقف، الذي يطلق "على المفكر أو المتأدب أو الباحث الجامعي، وفي بعض الأحيان حتى على المتعلم البسيط"[٨] كما يقول عبد الله العروي، "بل يأخذ بهذا المفهوم باعتباره أداة للتحليل في العلوم الاجتماعية"، وباعتباره صفة أو نعتًا يطلق على "شخصية تظهر في ظروف جد خاصة". ومن هنا لا يخفي أركون أن أي حديث عن المثقف، لن يتأتى من دون البحث في وضع هذا المثقف باعتباره فاعلاً أساسيًا داخل الحقل الاجتماعي.

ومن ثم، يتساءل: هل ينبغي للمثقف العربي الإسلامي أن يظل في حدود اختصاصه المعرفي لا يحيد عنه، "ولا يحشر أنفه في القضايا العامة"، أم ينبغي عليه العكس من ذلك، أن "يتدخل في شؤون المجتمع والسياسة والحياة؟ يجيب أركون عن هذا السؤال بالقول: إن المثقف ليس مجرد باحث متبحر في بعض ميادين العلم والمعرفة، ولكنه أيضًا "مسؤول" ينبغي عليه أيضًا أن ينخرط في أتون الهموم العامة لمجتمعه، وخصوصًا إذا كان المجتمع يعاني من مشاكل حارقة كالمجتمع العربي والإسلامي.

وإذا كان المثقف الغربي المعاصر له الحق كل الحق في أن ينخرط أو لا ينخرط في الشأن العام، وذلك لأن مجتمعه قد تجاوز مرحلة الانعطافات الحادة والأزمات الكبرى، وأصبح ينتمي إلى مجتمع قوي ومستقر نسبيًا، ومن هنا فإن المثقف العربي، في نظر أركون، ليس له الحق مطلقًا في أن يصم أذنيه أو يغض الطرف عما يعتمل داخل محيطه الاجتماعي، أو يكتفي بالتخندق داخل التخصص العلمي الضيق، أو التبحر الموسوعي البارد، في الوقت الذي تحدق بمجتمعه أخطار مهلكة[٩]

ويمكن القول إن عقد التسعينيات من القرن المنصرم، شهد أهم المراجعات الفكرية التي طالت مفهوم المثقف والتي بقيت تونس بين نقد المثقف من جهة بهدف تأصيل دوره، وبين البحث عن بديل وجد تعبيره في المفكر المثالي الذي أضفيت عليه هالة من الأسطورة تتناسب وسعي الخطاب النهضوي في بحثه عن بديل أسطوري نهضوي ونموذجي في آن.

فقد شهد العقد المذكور صدور مجموعة من الكتب التي تندرج في إطار نقد المثقف وذلك في إطار بحثها عن الطريق إلى المستقبل، وأشير هنا إلى مجموعة من الكتب: محمد عابد الجابري "المثقفون في الحضارة العربية، ١٩٩٦" وعلي حرب "أوهام النخبة، ١٩٩٦" وعلي أومليل "السلطة السياسية والسلطة الثقافية، ١٩٩٦" وإدوارد سعيد "صور المثقف، ١٩٩٦" وفهمي جدعان "الطريق إلى المستقبل، ١٩٩٦" وعبد الإله بلقزيز "نهاية الداعية، ٢٠٠٠" وذلك على سبيل المثال لا الحصر من فيض لا ينتهي.

مفهوم السلطة

ربما ان مفهوم السلطة واسع لأسباب متعددة، وهي من يحدد السلطويات التي ترمي بظلالها على المثقف وتؤثر فيه بحيث يتحول هذا التأثير الى تأثير في المجتمع وعلى شتى مناحي الحياة.

اذن ماذا نقصد بالسلطة، وهل توجد سلطات او سلطويات تؤثر على المثقف الذي يعمل على التغيير، او بعبارة اخرى هل للمثقف سلطة وعلى ماذا تعتمد وهل عامل رادع ام هي تعمل بشكل متوازي متكامل لانهما يتحولا لصالح المجتمع كما اكد بريهيه ((على زوال وخطأ الفصل بين الفرد في مقابل المجتمع فاصغر فرد هو مجتمع بوراثته للغة والعادات))[١٠]

وقد صنف الدكتور الالوسي في بحث له السلطة الى احد عشر صنفا على ضوء الفكر الانساني وهي :السلطة السياسية والسلطة التقليدية والاعراف وسلطة الجهل وسلطة النص الديني، وسلطة رجال الدين، وسلطة الخطاب الديني، وسلطة البدائي والاسطورية والمهن في القدم والمتسرب في الفكر الفلسفي والدين معاً، وسلطة التخلف الاقتصادي، والانغلاق الفكري والسلوكي[١١]، وهنا نستطيع ان نقول ان التقسيم الذي قدمة الالوسي هو تقسيم اجرائي ليس الا كي تتضح الفكرة في مدى عمق العلاقة بين السلطة بوصفها مواجهة للمثقف اذا ما اراد التغيير والخروج من وصفه متخندقا في حيز التخصص الدقيق كما ذكر اركون انفاً.

ثالثاً: الافغاني الموقظ من الغفلة .

يعد جمال الدين الأفغاني أحد أقطاب النهضة في الشرق، واعظم الشخصيات التي تركت أثراً في حياة مصر، حيث كان يرمي الى توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين وجعلهم كلهم مملكة واحدة، يأتمرون وينتهون بأمر واحد، وقد بذل في هذا السبيل كل مرتخص وثمين[١٢].

وَصَل الأفغاني القاهرة سنة ١٨٧١ في الوقت الذي كانت فيه مصر في عصر ديني مظلم، لان فساد الحكم لاسيما في عهد اسماعيل كان قد لوث جميع الطبقات واطفأ جذوة الشجاعة والاستقلال في صدور العلماء ، ومع ذلك كان فضول الناس يزداد حول علماء الدين [١٣].

كانت مصر أثناء وصول الأفغاني لها تعاني من أزمة مالية [١٤] ، فسحت المجال امام التدخل الاجنبي، لذلك كانت أحوج الى من يأخذ بيديها للتخلص من هذه الأوضاع. ورغم صعوبة المهمة إلا ان الافغاني بدأ عمله في مصر في محاولة للوصول بها الى بر الأمان[١٥].

تعد سنوات إقامة الافغاني في مصر (١٨٧١ – ١٨٧٩) من أخصب سنوات عمره النضالي وفيها قدم أثمن ما جادت به شخصيته من عطاء، سواء في الفكر او في العمل السياسي او في صنع الرجال وبناء التنظيمات[١٦]. وما من بلد من بلدان الشرق أثر فيه الافغاني مثل تأثيره في مصر ، ويقول محمد عبده في مذكراته عن أثر الافغاني في مصر: "انه باعث النهضة الوطنية في مصر، وان هجرته اليها واقامته فيها كانتا بعثاً وطنياً وسياسياً لها، وحداً فاصلاً بين ماضٍ مظلم وحاضر مضيء ومستقبل مبشر بالكرامة والحرية"[١٧]، وكان خلال مدة بقائه في مصر يمثل دور الموجه والمعلم لفريق من الشباب معظمهم من الازهر، وممن كُتب لهم أن يلعبوا دوراً هاماً في الحياة المصرية [١٨].

وَصف محمد عبده نزول الأفغاني في مصر فقال :" ركن الأفغاني إلى الإقامة في مصر فتعرف إليه في بادئ الأمر بعض طلبة العلم، ثم اختلف اليه كثير من الموظفين والاعلام، واشتغل بالتدريس ببعض العلوم العصرية وكان يحضر دروسه كثير من طلبة العلم ويتردد على مجالسه كثير من العلماء وغيره " [١٩].

نشط الأفغاني خلال وجوده في القاهرة لبث تعاليمه الحرة التي لم يكن للناس عهد بها من قبل، وأخذ يقرأ لتلاميذه طائفة من الكتب العربية القديمة والكتب الاوربية المعربة في الفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع، فكان ذلك فتحاً جديداً في موضوعات التعليم [٢٠].

لقد بان أثر الأفغاني في مصر لاحقا ، إذ أنّه من اوائل العاملين على تثوير الروح الوطنية في البلاد، وقد نسب اليه – بحق – الدور التاريخي لـ " ابي القومية "، وقد استطاع الافغاني بخطبه الملتهبة ان يبث في النفوس نزوعاً الى الحرية ورغبة في العدالة[٢١]. وبدأ في توسيع اتصالاته الجماهيرية فشملت عامة الناس، خصوصاً بعد ان تبلور لدعوته حركة منظمة في صفوف الطلائع المستنيرة، فقد كان يخاطب عامة الناس فيقول لهم: "انكم معاشر المصريين، قد نشأتم في الاستعباد، وربيتم بحجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم، وانتم تحملون عبء نير الفاتحين، وتعنّون لوطأة الغزاة الظالمين، تسومكم حكوماتهم الحيف والجور، وتنزل بكم الخفة والذل، وانتم صابرون بل راضون "[٢٢].

يُعد الأفغاني رائد حركة التجديد الاسلامي في العصر الحديث، ومنذ مجيئه الى مصر، فقد أصبحت أحاديثه وتوجيهاته عبارة عن كشف آثار الاستعمار البريطاني على الشعوب الاسلامية، فقد اوضح ضرر هذه الآثار في تلك الشعوب في جوانب الحياة الاسلامية الرئيسة، وفي التوجيه الفكري والروحي للمسلمين وفي الجانبين الاقتصادي والاجتماعي من حياة المسلمين، وكان العلاج الذي يطرحه دائماً هو تمسك المسلمين بإسلامهم ثم أخذ يخاطبهم مستثيراً فيهم معاني العزة القومية قائلاً: "لو كان في عروقكم دم ينبض، وفي رؤوسكم أعصاب تتأثر، فتبعث النخوة والحمية لما رضيتم بهذا الذل، ولما قعدتم على الرمضاء وانتم تضحكون"[٢٣].

لقد نبه الأفغاني تلاميذه إلى خطر التدخل الاجنبي، والحاجة الى الوحدة الوطنية لمقاومته، والسعي الى وحدة اوسع للشعوب الاسلامية والمطالبة بدستور يحد من سلطة الحاكم، كما شجعهم على الكتابة واصدار الصحف وتكوين رأي عام، وهكذا أسهم من خلالهم في تحريك الاختلاجات الأولى للوعي القومي وفي إثارة الاستياء من حكم الخديوي اسماعيل(٢٤).

لم يكن الأفغاني يرى تناقضاً بين عروبة مصر واصولها، فهو يقول عن المصريين :"انهم احفاد الغزاة الفاتحين من اعز قبائل العرب"، وفي موضع آخر يذكر المصريين بعظمة اجدادهم الفراعنة فيخاطبهم قائلاً:"انظروا آثار مصر وهياكل ممفيس وآثار طيبة ومشاهد سيوه وحصون دمياط شاهد على منعة آبائكم وعزة اجدادكم "(٢٥).

لقد أثمر وجود الأفغاني في مصر، عن نهضة شملت مختلف جوانب الحياة، وكانت مظاهر هذه النهضة نشاط الصحف السياسية، واقبال الناس عليها، وتحدثهم في شؤون البلاد العامة، وتبرمهم بحالتها السياسية والمالية، ثم ظهور روح المعارضة واليقظة في مجلس شورى النواب(٢٦). وعلى يديه ظهرت الصحف غير الحكومية واقبل الناس عليها، وكان له دور في انشاء عدد منها وتحرير أخرى، كما شجع عدد من تلاميذه على احتراف الصحافة والكتابة فيها ، وكان من بينهم اديب اسحق ويعقوب صنوع(٢٧)، فاصدر الاول جريدتي "مصر القاهرة" سنة ١٨٧٧ و"التجارة" سنة ١٨٧٨، واصدر الثاني في السنة نفسها جريدة " أبو نضارة"(٢٨).

نال الأزهر قسطاً من اهتمام الأفغاني، مما أسهم ذلك إلى جانب عوامل أخرى في إيقاظ الأزهر، ودفعه إلى محاولة التماشي مع التطورات الجديدة، والمشاركة في الأحداث القومية العامة، وقد كانت الحلقات التي يقيمها الافغاني تضم نخبة من طلاب الازهر الذين برزوا في ميدان الحوادث فيما بعد(٢٩). والأفغاني بهذا يُعد "المزلزل الاول لجمود الازهر والمصلح الاول للتعليم الاسلامي"(٣٠).

كان الأفغاني يرى إن الرابطة الدينية لاتتعارض مع الروابط القومية القائمة بين اقوام ينتمون الى اديان مختلفة، من هنا كان نداؤه للمسلمين في مصر والهند قائلاً: " عليكم ان تتقوا الله في حسن المعاملة وأحكام الألفة في المنافع الوطنية بينكم وبين ابناء اوطانكم وجيرانكم من أرباب الاديان المختلفة"(٣١). أثمرت جهود الأفغاني ودروسه التي كان يلقيها على مسامع مريديه وخاصة من طلبة العلم الذين تنبهت عقولهم عن تطور الكتابة، وقد وصف محمد عبده هذا الأثر فقال: " كان أرباب القلم في الديار المصرية القادرون على الإجادة في المواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل ...ومن عشر سنوات ترى كتبه في القطر المصري لايشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم، وما منهم إلا من أخذ عنه"(٣٢). كما إنه حمل تلاميذه على العمل في الكتابة وإنشاء الفصول الأدبية والحكمية والدينية، فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه(٣٣).

كان الأفغاني يرى بان مصدر قوة الأوربيين هو العلم والتكنولوجيا واساليب التنظيم والدبلوماسية، ولكي يتسنى للمسلمين ان يتصدوا للعدوان الاوربي يجب عليهم ان يأخذوا بنفس الاساليب الاوربية وان يطوّروها الى افضل حد(٣٤). كما انه كان يدعو للأخذ بالعلوم الحديثة وتحكيم العقل بصفة اسمى ما عند الانسان

من صفات التوسع في الفنون والابداع والصنائع لان "الدول المسيحية انما يغلبون الحكومات الاسلامية بالعلم الذي مصدره القوة، وينغلب المسلمون بالجهل مصدر العنف" [٣٥] .

لقد ترك الأفغاني أثراً سياسياً كبيراً في مصر عن طريق ما اتصف به من الأخلاق العالية فأخذ يبث في النفوس روح العزة والشهامة، ويحارب روح الذل والاستكانة، فكان بنفسيته ودروسه وأحاديثه ومناهجه في الحياة مدرسة أخلاقية، رفعت من مستوى النفوس في مصر، وكانت على مر الزمن من العوامل الفعالة للتحول الذي طرأ على الأمة، وانتقالها من حالة الخضوع والاستكانة إلى التطلع للحرية، والتبرم بنظام الحكم في عهد اسماعيل ومساوئه، والسخط على تدخل الدول الاوربية في شؤون البلاد [٣٦].

كان الأفغاني شديد الإيمان بالحكم النيابي وضرورة تمثيل القوة النيابية للشعب وصدورها من احشاء الجماهير، ويقول في هذا الشأن: "إن القوة النيابية لأي أمّة لا يكون لها قيمة حقيقية إلاّ إذا نبعت من نفس الأمّة، وأيّ مجلس نيابي يأمر بتشكيله ملك أو أمير أو قوة أجنبية مُحرّكة له، فهو مجلس موهوم موقوف على إرادة من أحدثه"[٣٧]. وحدد الأفغاني نوعية النائب الذي يرغب، مؤكداً على " أن لا يكون آلة صماء لا يعرف لإيراد الحجة تجاه الحاكم الظالم معنى ولو كانت من الحجج الساطعة " [٣٨]. كما كان الافغاني يرى ان الاصلاح في مصر والشرق يكون بتبني الحكم الدستوري، حيث يقول: " لا تحيا مصر ولا يحيا الشرق بدوله واماراته، الا اذا اتاح الله لكل منهم رجلا قويا عادلا، يحكمه باهله على غير طريق التفرد بالقوة والسلطان، لان بالقوة المطلقة الاستبداد، ولا عدل الا مع القوة المقيدة وحكم مصر باهلها، انما اعني به الاشتراك الاهلي بالحكم الدستوري الصحيح"[٣٩]

لقد ظهر للعيان أول ثمار دعوة الأفغاني وأثره السياسي بواسطة المعارضة البرلمانية أثناء انعقاد جلسات المجلس النيابي المصري في كانون الثاني سنة ١٨٧٨، حيث اظهر بعض النواب معارضتهم للمحاولات الرامية إلى تمرير القرارات دون الرجوع إلى المجلس النيابي. ويصف محمد عبده هذا الموقف فيقول: "هاج النواب وسلك بعضهم مسلك الثورة في الجواب على ذلك الأمر، وحاولوا التوقف عن الانصراف حتى يعلموا من احوال الحكومة ما يخبرون به منتخبيهم"[٤٠]. وقد تمثلت المعارضة داخل المجلس بشخص النائب عبد السلام المويلحي الذي كان أحد المتمسكين بحقوق المجلس التشريعية، فقد كان يقود بعض المتعلمين المتحررين من اعضاء المجلس وهو من تلامذة الافغاني [٤١].

تنوعت نشاطات الافغاني السياسية، فأسهم في إنشاء جمعية سرية باسم جمعية "مصر الفتاة "[٤٢] في الاسكندرية لمناهضة الحكم الاستبدادي، وكان الافغاني يشرف على عمل هذه الجمعية [٤٣]، كما أقدم على انشاء حزب سياسي سري، وجد رواجاً واستجابة عند اغلب الوطنيين المصريين، حيث إنظم اليه اكثر من ٢٠ ألف شخص بعد سنة واحد من تأسيسه[٤٤]. وعن هذا الحزب يقول عبد الله النديم [٤٥] : "لقد سبقني الى تشجيع الخائضين الشيخ الافغاني، فقد ألف حزباً من الشبان وجمع اليه بعضاً من الاعيان، وبث فيهم روح الغيرة الوطنية، وملأ آذانهم بالمفاخر الشرقية"[٤٦].

لقد ظهر هذا الحزب إلى العلن لأول مرة باسم "الحزب الوطني الحر" حينما ظهر نشاطه في حركة المطالبة بعزل الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧٩[٤٧]، حيث كان الأفغاني يعتقد إن الخديوي إسماعيل هو المسؤول عن تدخل الدول الأوربية في شؤون مصر بسبب إسرافه، وانه هو الذي فتح للاستعمار هذا الباب[٤٨].

لقد أجمل الشيخ محمد عبده دور الأفغاني في مصر فقال: "جاء هذا السيد مصر فنفخ فيها روح الحكومة النيابية، وألف فيها الحزب الوطني الأول لتقييد سلطان الحكومة الشرعية، وغذى تلاميذه ومريديه بعشق الحرية ووسائلها من العلم والكتابة والخطابة، كما ارشد المسلمين منهم إلى الإصلاح الديني والجمع بينه وبين العلم العصري"[٤٩]. وشكل الأفغاني الدافع الأول للحركة الوطنية المصرية ، ولم يكن أثره أقل من هذا في النهضة العقلية والدينية [٥٠].

رابعاً: عبده مثقفا ومصلحا

أولى الشيخ محمد عبده اهتماما بالغا بمسألة الاعلام، إذ يقول في هذا الشأن : "ان اهالي مصر قبل عام ١٨٧٧ كانوا يرون شؤونهم العامة بل والخاصة ملكاً لحاكمهم، ومن ينوب عنه في تدبير امورهم يتصرف فيها حسب إرادته، ولا يرى أحدٌ منهم لنفسه رأياً يحق له ان يبديه في ادارة بلاده، أو أداة يتقدم بها الى عمل من الاعمال يرى فيه صلاحاً لأمته، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى انهم محكومون مصروفون فيما تكلفهم الحكومة به"[٥١].

ومن ناحية اخرى أسهمت الحرب الروسية العثمانية[٥٢] في تطوير الصحافة المصرية، بما شكل منعطفا حاسماً في تاريخ حرية الفكر في مصر، فقد اهتم بها المصريون لانهم رأوا فيها تهديداً لسلامة الدولة العثمانية ومن ثم تهديداً لمصر[٥٣]. ووصف عبده ردود فعل الناس في مصر تجاه هذه الحرب فقال: "وجد الناس من انفسهم لذة في الاطلاع على ما يكون من شأن الدولة العثمانية، مع دولة روسيا، فتطلعوا الى ما يرد من أخبار الحرب، وسرى هذا الشعور الى بعض الجرائد العربية، فانطلقت في إيراد الحوادث ونشرها، فحدث بين العامة نوع من الجدل لم يكن معروفاً من قبل، ثم استحدثت جرائد كثيرة لمباراة ما سبقها في نشر الاخبار"[٥٤]. وأشار محمد عبده الى أن ما كان ينشر في الصحف لم يكن يقتصر على حوادث الحرب بل "اجترأ الكثير منهم على نشر ما عليه سائر الامم في سيرتها السياسية والمعاشية، وزاد على ذلك نشر ما كان قد بدأ في الحكومة المصرية من سوء الاحوال المالية"[٥٥].

وقد وصف محمد رشيد رضا[٥٦] أثر محمد عبده في مصر فقال: "اذا جاز لمصر ان تسير منفردة او يكون لها بداءة خير يوماً من الايام فأنها لا يسهل عليها الاستغناء عن أمثال الشيخ محمد عبده العالم المحرر"[٥٧].

كتب محمد عبده في صحف متعددة أهمها " الأهرام " و " الوقائع "، وكانت دعوته في هذه الصحف تتلخص كما قال: "إرتفع صوتي بالدعوة الى امرين عظيمين: الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريق سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري"[٥٨].

دعا محمد عبده الى احترام قوانين الحكومة وأوامرها، عادّاً ذلك من سعادة الامة، فكتب قائلا في وصفها: "انما تسعد ويستقيم حالها إذا ارتفع فيها شأن القانون، وعلا قدره واحترمه الحاكمون قبل المحكومين، واستعملوا غاية الدقة في فهم فصوله وحدوده والوقوف على حقائق مغزاه، وسهروا لتطبيق أعمالهم جزئية وكلية، عند ذلك تحيا البلاد حياة حقيقية"[٥٩]. كما أكد على اهمية الالتزام بالقوانين محذراً الذين ينحرفون عنها، ومنبهاً إياهم بضرورة الاعتبار بمن يماثلهم في الصورة الانسانية [٦٠].

طالب محمد عبده الحكومة المصرية بان تلتفت الى قوانين المجالس القضائية لتجعلها مناسبة للحاجة الراهنة، "فتختار منها مالا يصعب فهمه، ولا تحتمل عباراته معنيين او جملة معاني ... حتى لا تكون القوانين نفسها ذريعة لأرباب الاغراض الفاسدة، فيلعبون بالحقوق كما يشاءون " ونادى بضرورة ان تكون القوانين مستوفاة لجميع الشروط [٦١].

كان موقف محمد عبده واضحاً من التدخل الاجنبي الذي أضر بمصر وقد ذكر ذلك واضحاً بقوله: "ان الأوربيين كانوا يتصرفون في الدولة المصرية والبلاد المصرية أسوأ التصرف واشدهُ إفساداً للنظام ويسوقون الحكام والرعية كما تساق الانعام"[٦٢]. وفي هذا الِشأن اعتبر مثقف مصري آخر هو حسن الشمسي كل من جاء مصر نزيلاً او غازياً ليس من المصريين، وقد هاجم كثرة تعيين الاجانب في وظائف الحكومة المصرية، وطالب بقصر هذه الوظائف على ابناء مصر وحدهم، وفي هذا يقول: "ان المصريين هم فقط الذين ولدوا على الارض المصرية أباً عن جد ... وهؤلاء هم اصحاب الأرض المصرية الحقيقيون، ولابد ان تعود اليهم منافعها"[٦٣]. فمحمد عبده يربط بين قضيتي الحرية والقومية فيقول: "لا وطن إلا مع الحرية، بل هما سيّان ... فان الحرية هي حق القيام بالواجب المعلوم، فان لم توجد فلا وطن لعدم الحقوق والواجبات السياسية، وان وجدت فلا بد معها من الواجب والحق"[٦٤].

موضوع الشورى، فأكد محمد عبده على اهميتها ووجوبها على الحاكم والمحكوم، ومن وجهة نظره فان "أولي الأمر لكي يتمكنوا من النهوض بما وسّد اليهم من رعاية مصالح العباد، ليس امامهم وسيلة الى ذلك إلا مشاورة العارفين العالمين بطرقها " . وعدّ الشورى افضل واعظم فائدة لانها صادرة عن رأي الامة العام، مذكراً بان الشورى لا تنجح إلا بين من كان لهم رأي عام يجمعهم في دائرة واحدة [٦٥].

كان محمد عبده في بادئ الامر يُعد دعاة الحياة الدستورية والنيابية "عقلاء" ولكنهم في نظره عقلاء مخطئون، حيث يقول: "انه من الخطأ بل من الجهالة ان تكلف الامة بالسير على ما لا تعرف له حقيقة، او يطلب منها ما هو بعيد عن مداركها بالكلية"[٦٦]. ولم يكن مؤمناً بالشورى دفعة واحدة، وكان يرد على طالبي الحرية عن طريق مجلس نيابي تكفل في ظله حرية الفرد الشخصية، وهو يرى ان القفز مؤذٍ في حق تطور الامم، فتنشئ المجالس البلدية أولاً ثم المجالس الإدارية، واشترط على ان لا تكون آلات تدار، بل يجب ان تكون مصادر للآراء والأفكار ثم تتبعها بعد ذلك المجالس النيابية[٦٧].

لقد تبدل موقف محمد عبده من الحياة النيابية فأخذ يقول: "ان بلادنا المصرية بلا ريب لا فرق بينها وبين بلاد أخرى تحققت فيها الشورى ونالت منافعها وعادت عليها فوائدها"[٦٨]، وآمن بالشورى وأكد على ضرورة

اشتراك جميع المصريين فيها، مذكراً بأهمية ان يشكل المجلس من نبهاء واذكياء وأمراء وعلماء وصنّاع وأعيان، كما نوه الى حتمية حرية الانتخابات[٦٩].

اشار محمد عبده الى اهمية الاصلاح قائلا :"هناك امر آخر كنت من دعاته والناس جميعاً في عمىً عنه وبعد عن تعقله، ولكن هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية، وما اصابهم الوهن والضعف والذل إلا بخلو مجتمعهم منه، وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة "[٧٠]. وظهرت الدعوة الى الوطنية في كتابات محمد عبده، فهو يرى "إن خير أوجه الوحدة الوطن لامتناع الخلاف والنزاع فيه"[٧١]، كما اوضح " ان الوطنية هي ان نخلص المحبة للوطن اخلاصا ينبعث عنه السعي بكامل الجهد في إلتماس ما يعود عليه بالتقدم والنجاح"[٧٢].ودفع الحماس الشديد من جانب حسن الشمسي للوطن والوطنية حداً جعله يكون اول مفكر مصري ينادي بإنشاء بنك وطني مصري يقف في مواجهة الغزو الرأسمالي الأوربي، واشترط أن تكون أمواله وادارته مصرية[٧٣]

الخاتمة

١- ان مصطلح المثقف من الاصطلاحات التي شاعت وأصبحت متداولة في الثقافة العربية مؤخرا إذ لا يمتد عمره الى اكثر من قرن

٢- هناك علاقة عكسية بين المثقف والسلطة في البلدان غير مستقرة وتكون علاقة حميمية بعد الرخاء

٣- يعد الافغاني الثورة الحقيقة لتطبيق العلاقة بين المثقف والسلطة المهيمن في الوطن العربي وبالذات في مصر بسبب مكانته التاريخية والاجتماعية ودوره الحقيقة في الثقافة العربية انذاك

٤- خطابات الافغاني اشعلت حركة الثقافة والاجتماع السياسي في اذهان النخب في شتى المجالات.

٥- عبده يعد واحد من ثمار الافغاني في مصر فقد كان الباحث عن الاصلاحات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والاعلامية.

٦- افكار عبده طرحت من باب التنوير الطالب للالتحاق بركب البلدان المتقدمة وتخلص من التخلف الذي يسيطر على البلد بسبب الفشل السياسي .[٧٤]

الهوامش

[١] ابن منظور (لسان العرب) المادة ثقف

[٢] المصدر نفسه اختصرت الحديث والاشارة لابن منظور، لان جميع معاجم اللغة لا تتعدى على القياس اللغوي الذي جاء به ابن منظور في لسان العرب لذا وجدت لا حاجة للاطالة مادام التشابه في جميع المعاجم

[٣] محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، نوفمبر ١٩٩٥، ص ٩، ٢١

[٤] محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، ص٢٣

[٥] محمد أركون: الفكر الإسلامي- نقد واجتهاد ، ترجمة صالح هاشم، دار الساقي، ط٣ ،١٩٩٨ ، ص٧ .

[٦] علي أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٦ص٣١.

[٧] اركون، محمد: الفكر الإسلامي- نقد واجتهاد، ص٥

[٨] عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط٣، ١٩٩٢. ص١٧٢.

[٩] هامش كتاب محمد أركون، الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد، ص٢٧.

[١٠] بريهه، اميل (القضايا الفلسفية المعاصرة) ترجمة بولص الشاعر دار الطليعة بيروت ١٩٧٣ ص٤٦ومابعدها

[١١] حسام محي الدين الالوسي الفلسفة والسلطة بحث منشور في اعمال المؤتمر الفلسفي الثامن لبيت الحكمة بغداد ٢٠٠٩ ص٢١

[١٢]احمد زكي بدوي، تاريخ مصر الاجتماعي ، مطبعة صلاح الدين ، مصر ، ١٩٣٤ .، ص٢٣٧

[١٣] الفرد سكاون بلنت ، التاريخ السري لاحتلال انكلترا مصر، مطبعة البلاغ الاسبوعي ، القاهرة ، د.ت ، ص٧٩.

[١٤] ظهرت بوادر هذه الازمة في عهد محمد سعيد باشا، فقد منح امتياز قناة السويس للاجانب، واسرف في الاستدانة من البيوت المالية الاجنبية، وسار الخديوي اسماعيل على نفس السياسة ، فاقترض من البنوك الاجنبية مبالغ كبيرة بفوائد عالية ، فتراكمت الديون على مصر، ثم لجا الى عقد قروض داخلية من اهالي البلاد سنة ١٨٧١ ، وفي سنة ١٨٧٥ وصلت الازمة المالية ذروتها فتضخمت الديون ، فاقدم اسماعيل على بيع اسهم مصر في قناة السويس والبالغة ٧١٦٦٠٢ سهما، مما ادى ذلك الى التدخل الاجنبي. ينظر: محمد عبد الرحمن حسين ، العروبة في العصر الحديث ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .، ص٤٠-٤١ .

١٥ عثمان امين: جمال الدين الافغاني في القاهرة ، مجلة الفكر المعاصر "مصر" ، العدد ٥١، حزيران ١٩٦٩ ،ص٧٥.

[١٦] محمد عمارة ، جمال الدين الافغاني موقظ الشرق وفيلسوف الاسلام ، دار الوحدة ، بيروت، ط١، ١٩٨٤ ، ص٢٧.

[١٧] محمد عبده: مذكرات محمد عبده، جمعها وقدمها طاهر الطناحي، دار الهلال، القاهرة، ١٩٦١ ،ص١٥.

[١٨] ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٨ . ص١٣٨.

[١٩] محمد رشيد رضا ، تاريخ الاستاذ الامام ، ج١ ، مطبعة المنار ،القاهرة ، ١٩٣١ ، ص٣٧ .

[٢٠] عثمان امين ، عبقرية جمال الدين الافغاني ، مجلة العربي "الكويت" ، العدد ٧٩ ، حزيران ١٩٥٦ ، ص٥٤ .

[٢١] عثمان أمين ، أعلام الفكر الإسلامي المعاصر ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، مطبعة العمرانية ، مصر ، ١٩٨٩ ، ص١٦ – ١٧.

[٢٢] محمد باشا المخزومي ، خاطرات جمال الدين الافغاني، المطبعة العلمية ، بيروت ، ١٩٣١م .ص٢٩١ .

[٢٣] المصدر نفسه ، ص٢٩٨ .

[٢٤] ألبرت حوراني، المصدر السابق ، ص١٣٨.

[٢٥] خاطرات جمال الدين الافغاني ، ص٢١٦ ، ٢٩١ .

[٢٦] عبد الرحمن الرافعي ، عصر اسماعيل ، ج ١، ج ٢، ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨ .، ، ص١٣٥.

[٢٧] ولد في القاهرة سنة ١٨٣٩ ،من ابوين يهوديين ،اسس اول مسرح عربي في القاهرة سنة ١٨٧٠ ،وفي سنة ١٨٧٢ اسس جمعيتين علميتين هما "محفل التقدم " و " محبي العلم " ،اصدر في سنة ١٨٧٧ جريدة " ابو نضارّة " ،وهي اسبوعية هزلية كانت سببا لنفيه من مصر من قبل الخديوي اسماعيل ،لجا الى باريس ليعاود اصدار جريدته ،وخلال وجوده فيها اصدر ست صحف اخرى ،توفي سنة ١٩١٠ . ينظر :اليفكونت دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ج٢ ، المطبعة الادبية ، بيروت ، ١٩١٣.، ص٢٥٤ .

[٢٨] عبد الرحمن الرافعي، جمال الدين الافغاني باعث نهضة الشرق موقظ الشرق وفيلسوف الاسلام ، دار الوحدة ، بيروت ، ١٩٨٤ . ، ص٣٩.

[٢٩] محمد عبد الله عنان تاريخ الجامع الازهر، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٥٨ .، ص٢٣٤.

[٣٠] محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام ، ج ١، مطبعة المنار ، القاهرة ، ١٩٣١ .ج ١ ، ص٧٩.

[٣١] ألبرت حوراني ، ص١٤٩.

[٣٢] الأعمال الكاملة لمحمد عبده ، المصدر السابق ، ص٤٨١ .

[٣٣] محمد عمارة ، جمال الدين الافغاني ، ص٥٥.

[٣٤] الاعمال الكاملة للأفغاني ،المصدر السابق ، ص١٩٦-١٩٧ .

[٣٥] المصدر السابق ، ص٢٢٩ .

[٣٦] عبد الرحمن الرافعي ، جمال الدين الافغاني ، ص٢٠.

[٣٧] الأعمال الكاملة للأفغاني ، المصدر السابق ، ص٤٧٧.

[٣٨] خاطرات جمال الدين الأفغاني ، المصدر السابق ، ص٤٩.

[٣٩] المصدر السابق ، ص٩٠ .

[٤٠] مذكرات محمد عبده ، المصدر السابق ، ص٤٨.

[٤١] جاكوب لاندو ، الحياة النيابية والاحزاب في مصر من (١٨٦٦ – ١٩٥٢) ، ترجمة : سامي الليثي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٣٢.

[٤٢] جمعية سرية ، اتجهت لان تكون حزبا سياسيا ، ظهرت في الاسكندرية سنة ١٨٧٩ دون ان يكون لها أي ماض قبل ذلك ،ضمت عدداً من المثقفين منهم ، عبد الله النديم واديب اسحق وسليم النقاش واخرون، استخدمت الجمعية جريدة " ابو نضارة " لتكون لسان حالها ، وبلغت الجمعية مستوى عال من الوعي دفعها الى ان تصدر جريدة خاصة بها هي " مصر الفتاة " . ينظر : المصدر نفسه ، ص١٠٣ – ١٠٤ .

[٤٣] لطيفة محمد سالم، القوى الاجتماعية في الثورة العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ .ص٧٧.

[٤٤] زكريا سليمان بيومي، التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ، دراسة تاريخية في فكر الشيخ محمد عبدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص٥١.

[٤٥] ولد بالاسكندرية سنة ١٨٤٥ ، ساهم بالكتابة في جريدتي " المحروسة " و " العهد الجديد " ، اصدر جريدة " التنكيت والتبكيت " ثم ابدلها بجريدة " الطائف " ، شارك بالثورة العربية وكان من اكبر خطبائها ، تمت ملاحقته فنجح في الاختفاء لمدة عشر سنوات وبعدها القي القبض عليه ، تم اطلاق سراحه على ان يخرج من مصر اختار مدينة يافا في فلسطين وظل فيها لمدة سنة ، سمح له بالعودة الى مصر فانشا مجلة " الاستاذ " التي كانت وجهته للنضال ضد الاحتلال البريطاني ، تم نفيه مرة ثانية الى يافا ومنها انتقل الى الاستانة فضلّ فيها حتى وفاته سنة ١٨٩٦ . ينظر : ابراهيم مصطفى الوليلي ، مفاخر الرجال في سير اعاظم الرجال ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص٧١-٧٤ .

[٤٦] محمد احمد خلف الله ، عبد الله النديم ومذكراته السياسية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص٥٢.

[٤٧] محمد عمارة ، جمال الدين الأفغاني ، ص٢٣٩.

[٤٨] محمد عمارة ، دراسات في الوعي بالتاريخ ، دار الوحده ، بيروت ، ١٩٨١، ص١٨١.

[٤٩] محمد رشيد رضا ، المصدر السابق ، ص١٠ من المقدمة.

[٥٠] تشارلز آدمس ، الاسلام والتجديد في مصر ، ترجمة عباس العقاد ، ط١ ، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٩٣٥ ، ص١٤.

[٥١] مذكرات محمد عبده ص٤٤.

[٥٢] في ٢٤ نيسان سنة ١٨٧٧ اعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية متحالفة مع رومانيا ، بعد ان اطمأنت الى سكوت الدول الاوربية ، وكانت روسيا ترغب في الثأر من خسارتها في حرب القرم واحتلال المضائق والشاطئ الشرقي للبحر الاسود ، فنجحت حتى كانون الثاني سنة ١٨٧٨ من تحقيق بعض المكاسب ، مما اضطر الدولة العثمانية الى طلب تدخل بريطانيا، فعقد بين الطرفين معاهدة " سان استيفانو " في اذار من السنة نفسها ، الا ان هذه المعاهدة لم تنل رضا الدول الاوربية ، فتدخلت داعمة الموقف العثماني ، فتقرر عقد مؤتمر برلين في حزيران من السنة نفسها . ينظر : علي سلطان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مكتبة طرابلس العلمية ، ليبيا ، ١٩٩١ ، ص٣٢٥-٣٢٧ .

[٥٣] محمد صبري السوربوني ، المصدر السابق ، ص١٥٣.

[٥٤] مذكرات محمد عبده ، المصدر السابق ، ص٤٧ .

[٥٥] محمد رشيد رضا ، المصدر السابق ، ص٣٧.

[٥٦] ولد في القلمون من اعمال طرابلس الشام سنة ١٨٦٥ ، وفي مدارسها نال تعليمه ، رحل الى مصر سنة ١٨٩٨ والتقى بالشيخ محمد عبده وفيها اصدر مجلة " المنار " ، ومن نشاطاته البارزة في مصر تأسيسه لمدرسة الدعوى والارشاد ، قصد سوريا ايام الملك فيصل بن الحسين ، تم اختياره رئيسا للمؤتمر الاسلامي في سوريا ، توفي في القاهرة سنة ١٩٣٥. من ابرز مؤلفاته : تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده ، تفسير المنار، الوحي المحمدي . ينظر : فهمي جدعان ، اسس التقدم عند مفكري الاسلام ، ط١ ، بيروت، ١٩٧٨ ، ص٥٦٣ .

[٥٧] محمد رشيد رضا ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٣٢ .

[٥٨] المصدر السابق ، ج ٢ ، ص١١ .

[٥٩] محمد رشيد رضا ، ج٢ ، ص٥٢ .

[٦٠] المصدر السابق، ص٩٦ .

[٦١] المصدر السابق ، ص١٦١ – ١٦٢ .

[٦٢] محمد رشيد رضا ، ج ١ ، ص٢٦١ .

[٦٣] فاروق ابو زيد ، عصر التنوير العربي ،، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ١٩٧٨ . ص١٥٨ – ١٥٩ .

[٦٤] محمد رشيد رضا ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص١٩٤ .

[٦٥] الاعمال الكاملة لمحمد عبده ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٣٥٨ .

[٦٦] المصدر نفسه ، ص٤٦ .

[٦٧] حليم اليازجي واخرون ، ، بحوث في الفكر القومي العربي ، اشكاليات نظرية ، ط١، بيروت ، ١٩٨٥ .، ص١٣٣ .

[٦٨] محمد عمارة ، دراسات في الوعي بالتاريخ ، ص١٩٥ .

[٦٩] علي شلبي ، المصدر السابق ، ص٢٨١ .

[٧٠] محمد رشيد رضا ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١١ .

[٧١] محمد رشيد رضا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص١٩٥ .

[٧٢] الاعمال الكاملة لمحمد عبده ، المصدر السابق ، ص٢٩٢ .

[٧٣] فاروق أبو زيد ، عصر التنوير العربي ، ص١٥٩ .